﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَـٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَـٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩﴾ [سبأ: 19]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

مقابلةُ ما يستدعي الشُّكران بالبَطَرِ والكفران

لَمّا انقضى الخبَرُ عن الأوصافِ الَّتي تَستدعي غايةَ الشُّكرِ؛ لِما فيها مِن الألطافِ - دَلَّ على بَطَرِهم للنِّعمةِ بها، بأنَّهم جعَلوها سببًا للتَّضَجُّرِ والمَلالِ، بقوله: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بَـٰعِدۡ﴾: (بعد) البُعْدُ: خِلافُ القُرب، والبُعْدُ والبَعَدُ: الهَلاكُ، والمباعدةُ: تباعدُ الشّيء عن الشّيء[2]، وبَعِدَ الشَّيءُ عن كذا: نأى، وابتعدَ الشَّخصُ: ذهبَ إلى مكانٍ بعيد، وبعِد عن النّار: أقامَ بعيدًا على مسافةٍ ما، وأبعدَ في السَّفر ونحوِه: جاوزَ الحَدَّ[3]، ومعنى ﴿بَـٰعِدۡ﴾ في الآية الكريمة: اجعل بيننا وبين أسفارنا مسافاتٍ كبيرة.

2) ﴿أَحَادِيثَ﴾: أصله من (حدث)، وهو كَوْنُ شيءٍ لم يَكُنْ، ومنه الحَديثُ؛ لأنّه كَلامٌ يَحْدُثُ منه الشَّيءُ بَعْدَ الشَّيءِ[4]، والحديثُ: نقيضُ القديم، والحديثُ: الخبرُ قليلُهُ وكثيرُهُ، وهو ما يُحدِّثُ به المُحَدِّثُ تَحْديثًا، واستحدثتُ خبرًا؛ أيْ: وجدتُ خبرًا جديدًا[5]، "وكلُّ كلامٍ يبلغُ الإنسانَ من جهةِ السّمع، أو الوحي في يقظته، أو منامه،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 486.
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (بعد).
(3) عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (بعد).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حدث).
(5) الجوهريّ، الصّحاح، والزّبيديّ، تاج العروس: (حدث).

يُقال له: حديث"[1]، ومعنى الأحاديث في الآية موافقٌ للمعنى اللّغويّ؛ أيْ: صيّرناهم حديثًا للنّاسِ، يضربون بهم المثلَ.

3) ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ﴾: (مزق) أصلٌ يدلُّ على تَخَرُّقٍ في شَيْءٍ، والتَّمْزيقُ: التَّخْريقُ والتَّقْطيعُ، ومَزَّقْتُ القَوْمَ: فَرَّقْتُهُمْ فَتَمَزَّقوا، وتمْزيقُهم: تفرُّقُهم وزَوالُ مُلكهم وقطعُ دابِرِهِمْ[2]، ومزَقَ الثّوبَ ونحوَه: خرقَهُ وشقَّه وقطَّعَه تقطيعًا، ومزَّقَ اللّهُ الطّغاةَ: شتّتهم وفرَّقهم في كُلِّ وجهٍ من البلاد، والمعنى المحوريّ للمزق: هو شقُّ الشّيءِ الرّقيقِ الجِرمِ شقًّا واصلًا إلى عمقه[3]، والمقصود في الآية: فَرَّقَ شَمْلَهُمْ في البلاد.

4) ﴿صَبَّارٍ﴾: (صبر) أصلُه من الحَبْسُ، يُقالُ: صَبَرْتُ نَفْسي على ذَلِكَ الأَمْرِ؛ أَيْ: حَبَسْتُها[4]، والصَّبرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عِنْدَ الجَزَعِ، فالصَّبْرُ: نقيضُ الجَزَعِ[5]، والصَّبْرُ: الحبسُ والكَفُّ والإمساكُ في ضيق، وقيل: مراتِبُ الصَّبْرِ خَمْسةٌ: (صابِرٌ، ومُصْطَبِرٌ، ومُتَصَبِّرٌ، وصَبورٌ، وصَبّارٌ)[6]، وصَبَرَ صبرًا: تجلّدَ ولم يجزعْ، وانتظرَ في هدوءٍ واطمئنان، ويُقال: صَبرَ على الأَمرِ: احتمله ولم يجزعْ، وصبرَ عنهُ: حبسَ نَفسه عَنهُ، وصبّر نَفسَه: حَبسها وضبطها[7]، والصّبّارُ: كثيرُ الصّبرِ عن المعاصي والشّهواتِ ودواعي الهوى، وعلى البلايا ومشاقّ الطّاعات[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يذكرُ اللّهُ سبحانه أنّ أهلَ سبأ بَطَروا ومَلّوا تلكَ النِّعَم، وآثَروا الذي هو أدنى على الذي هو خير، كما فعلَ بنو إسرائيل، فطلبوا أنْ يفصلَ بين القُرى بمفاوز وقِفار؛ ليُظهِرَ القادرون منهم الأزوادَ والرّواحل تكبّرًا وفخرًا على العاجزين، فأجابَ اللّهُ طلبَهم وعاقبهم؛ إذ قد عرَّضوا أنفسَهم للسّخطِ والعذاب بغمطِ النّعمةِ وعدمِ الوفاءِ بشُكرها،

(1) الرّاغب، المفردات: (حدث).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (مزق).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ، وعمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (مزق).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صبر).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (صبر).
(6) الزّبيديّ، تاج العروس: (صبر).
(7) مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، المعجم الوسيط: (صبر).
(8) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 22/ 73.

فجعلهم أحاديثَ للنّاس يسمرونَ بها، ويعتبرون بأمرهم، وكيف مَكَرَ اللّهُ بهم، وفرّق شملهم بعد الاجتماعِ والأُلفةِ والعيشِ الهنيّ، وقَطَّعَهم في الأرضِ كلَّ مُقطَّع، فتفرَّقوا في نواحٍ كثيرةٍ، وصاروا مضربَ الأمثال في التَّشَتُّتِ والتّفَرُّقِ[1].

بَطَرُ أهلِ سبأ نعمةَ اللهِ وإحسانَه جعلهم عُرْضَةً لسَخَطِهِ وعذابه

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الفاء)، ودلالتُها في ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَعِدۡ﴾:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾؛ إمّا لِتَعقيبِ قَولِهم هذا إثْرَ إتمامِ النِّعمةِ عليهم باقترابِ المُدُنِ، وتَيسيرِ الأسفارِ، والتَّعْقيبُ في كلِّ شيءٍ بِحَسَبِهِ، فلمّا تمَّتِ النِّعمةُ بَطِروها، فحلَّتْ بهم أسبابُ سَلْبِها عنهم، ومن أكبرِ أسبابِ زوالِ النّعمة كفرانُها[2].

مسارعةُ أهلِ سبأ في الكفرِ والكُفران دليلٌ على تماديهم في الطّغيانِ

ويحتمل أن تكون الفاء لتَعقيبِ قَولِهم إثْرَ مواعظِ أنبيائهم والصّالحين منهم، حين ينهونهم عن الشّركِ، فهم يعظونهم بأنّ اللّهَ أنعمَ عليهم بتلكَ الرّفاهيّة، وهم يجيبون بهذا القول إفحامًا لدعاةِ الخيرِ منهم، على نحو قولِ كفّارِ قريش: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢﴾ [الأنفال: 32]، ويُقوّي هذا المعنى السّياقُ؛ إذ سبقَ قولُه: ﴿فَأَعۡرَضُواْ﴾، والإعراضُ يقتضي دعوةً لشيءٍ، وقال عقبَ حكاية قولهم: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾[3]، والتّعقيبُ يُشيرُ إلى أنّه "ما كانَ من شأنهم إلّا التّمادي في عصيانهم، والإصرارَ على غيّهم وطغيانهم"[4].

سئموا الرّاحةَ فدَعَوا على أنفسهم؛ فأُجيبت دعوتُهم البئيسةُ

دلالةُ التّعبير بـ(القول) في ﴿فَقَالُواْ﴾:

عبّر البيانُ القرآنيُّ بالقول في قوله: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَعِدۡ بَيۡنَ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 388، 391، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 129، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 22/ 74.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 176.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 176.
(4) القشيريّ، لطائف الإشارات: 3/ 181.

أَسْفَارِنَا﴾؛ إمّا لكونهم قالوا هذا القولَ على الحقيقة؛ بطرًا وطغيانًا، والمعنى: فبَطِروا وسَئِموا الرّاحةَ وطغوا، ولم يصبروا على العافية، وكانوا كاليهود لمّا طلبتِ الثّومَ والبصل بدلَ المنِّ والسّلوى، وقالوا: لو كانَ جَنَى جَنّاتِنا أبعدَ ممّا هي كان أجدرَ أنْ نشتهيَه[1]، أو أنْ يكونَ التّعبير بالقول كنايةً عن فسادِ اعتقادِهم، وشدّةِ اعتمادِهم على أنَّ ذلكَ النّعيمَ لا يعدم، كما يقولُ القائل لغيره: اضربني؛ إشارةً إلى أنّه لا يَقْدِرُ عليه، أو أنّ يكونَ قولهم بلسانِ الحال، أي: لمّا كفروا فقد طلبوا أنْ يُبَعَّدَ بين أسفارهم، وتخريبَ المعمورِ من ديارهم[2]، ويكون على التّعبيرِ بالقول؛ للإشارة إلى شدّةِ طغيانهم وتماديهم في الكُفران، وجرأتِهم في الباطل، وفي التّعبير بصيغة الماضي دلالةٌ على تحقّقِ وقوعِ القول منهم، سواءٌ على المعنى الحقيقيّ أو الكنائيّ.

في المعنى الحقيقيّ أو الكنائيّ لسبأ دلالةٌ على شدّةِ تماديهم وجُرأتِهم في الباطل

غرض إسناد القول إلى ضمير جماعتهم في ﴿فَقَالُواْ﴾:

إسنادُ القولِ إلى ضميرِ جماعةِ قومِ سبأ في قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ يوحي بتواطؤهم على هذا القول، واجتماعهم على البَطَر، وعدمِ صبرهم على العافية، وعلى طغيانهم وفسادهم وإفسادهم، وهذا يبيّن استحقاقَهم لِما أنزلَ اللّهُ بهم من العذابِ والتّمزيق كلّ ممزقٍ، وأنّهم "ما عومِلوا إلّا بما استوجبوا، ولا سُقوا إلّا ممّا ثَبِطوا[3]؛ وما وقعوا إلّا في الوهدةِ التي حفروا، وما قُتِلوا إلّا بالسّيف الذي صنعوا"[4].

عومِلَ قومُ سبأ بما استوجبوا باجتماعهم على الكفرِ والبَطَر

غرض حذف أداة النّداء في قوله: ﴿رَبَّنَا بَعِدْ﴾:

حذَفَ البيانُ الإلهيُّ ياءَ النّداء في قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾؛ اختصارًا وإيجازًا؛ للإشارةِ إلى شِدّةِ بَطَرِهم للنّعمة،

في الاختصارِ إشارةٌ إلى شدّةِ بَطَرِهم للنّعمة، باستعجالهم طلبَ المباعدة

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 129.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 202.
(3) الثَّبِطُ، ككتِفٍ: الأَحْمقُ في عَمَلِه، والضّعيفُ، ينظر: الفيروزابادي، القاموس المحيط: (ثبط).
(4) القشيريّ، لطائف الإشارات: 3/ 181.

وعُتوّهم باستعجالهم طلبَ المباعدة بين أسفارهم، حتّى إنّهم لم يلفظوا ياء النّداء لذلك، وهذا الاستعجالُ يناسبُ السّياقَ والمقام؛ فقد عبّروا كذلك بفاءِ التّعقيبِ؛ استعجالًا منهم في المباعدةِ بين أسفارهم، واتّفقوا واجتمعوا على ذلك، وعبّروا بلسانِ الجماعة.

غرض النّداء ﴿رَبَّنَا بَـٰعِدْ﴾:

طَلَبُ قومِ سبأ من اللهِ الكَدَّ والتَّعبَ بدلَ طيبِ العيشِ دليلُ انتكاسةٍ وبَطَر

النّداءُ المُقدَّر في قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ على قراءةِ ﴿رَبَّنَا﴾ بالنّصب[1] هو على معناه الحقيقيّ، وهو "طلبُ المتكلّم إقبالَ المخاطب عليه بحرفٍ نائب مناب (أنادي) المنقول من الخبر إلى الإنشاء"[2]؛ أيْ: غرضُ النّداءِ في الآيةِ السّؤالُ والطّلبُ من الله تعالى، وقد عبّروا عن ندائهم بلفظِ الرّبوبيّة الذي يدلّ على التّربيةِ والعطاءِ والتّفضّل، فلم يقولوا: (يا الله أو اللّهمّ)؛ وذلك مناسبةً لسياقِ الإنعام؛ ظنًا منهم أنّ في ذلك زيادةً في رغَدِ العيش، وهو عينُ انتكاستِهم؛ إذ "بَطِروا النِّعمةَ وسئِموا أطيبَ العيشِ ومَلّوا العافيةَ؛ فطلبوا الكدَّ والتَّعبَ"[3]، والمعنى: أيّها المُربّي لنا؛ أعظِم البُعْدَ بين أسفارنا وشَدِّده[4].

دلالة التّعبير بالمباعدة في قوله: ﴿بَـٰعِدْ﴾:

طلبُ قومِ سبأ عكسَ ما كانَ من قُربِ القُرى تجاوزٌ للحدّ وسببٌ للهلاك

عبّر البيانُ القرآنيُّ بلفظِ المباعدة في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾؛ لمناسبةِ معاني المباعدة للسّياق؛ فالبُعدُ خِلافُ القُرب، والمباعدةُ: تَباعدُ الشّيء عن الشّيء، ومن معاني البُعد: الهلاك[5]، والسّياقُ يدلّ على تقاربِ القُرى الظّاهرة وتواصلِها، وتداخلِ منازلها، وقِصَرِ المسافات بينها بمقادير محدّدةٍ، فطَلَبُهم للمباعدة بين هذه القُرى هو عكسُ ما كان من القُرْب، وهذا يتطلَّب أن تُدمّر بعضُ القُرى ليتمّ التّباعُد بينها، وهو تجاوزٌ للحَدّ وطغيانٌ، وسببٌ

(1) المنتجب، الكتاب الفريد: 5/ 290.
(2) الهاشميّ، جواهر البلاغة، ص: 89.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 129.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 486.
(5) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وعمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (بعد).

للهلاك، كما أنّ طلبهم المباعدةَ يناسبُ حالَهم الظّالمةَ المُتكبرة، التي سئمتْ أطيبَ العيش؛ فالمسافاتُ القصيرة لا تُشبعُ لذّةَ الرّحلات عند مَن أُصيبَ ببطرِ القلبِ وظُلمِ النّفس، كما ورد في الآية ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾؛ فدعا بدعاءِ حُمقٍ وجهل.

دعـــاءُ بَـطَـرٍ وطغيانٍ وحُمْقٍ وجَهْلٍ من قومِ سبأ

غرضُ الأمر في جملة ﴿بَعِدَ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾:

الفعلُ ﴿بَعِدَ﴾ في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بَعِدَ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ هو فعلُ أمرٍ، لكنّه خرجَ عن ظاهرِ الأمرِ، وجاء في معنى الدّعاء؛ لأنَّه صدرَ من الأدنى إلى الأعلى[1]، والمعنى: ربّنا اجعلها مفاوزَ ليَقِلّ النّاسُ، فيكونَ ما يخصُّ كلّ إنسانٍ من هذه الجنانِ أضعافَ ما يخصّه الآن، وليَتطاوَلوا على الفقراءِ بركوبِ الرّواحل، وتزوّدِ الأزوادِ والماء، والسّيرِ على النّجائبِ، والتّعلّقِ بالسّلاحِ، واستجادةِ المراكبِ؛ فَبطروا النّعمةَ، وظلموا أنفسَهم بالكفر[2].

أثر تنوُّع القراءات في قوله: ﴿رَبَّنَا بَعِدَ﴾:

اختلفَ القرّاءُ في قراءة قوله: ﴿رَبَّنَا بَعِدَ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾؛ فقرأ العامّةُ ﴿رَبَّنَا بَعِدَ﴾ بالألف ﴿بَعِدَ﴾ بزنةِ (فاعِل) على وجهِ الدّعاءِ والمسألةِ؛ أيْ: سألوا المُباعدةَ في أسفارهم، "المقتضيةَ لمَدّهِ وتطويلهِ"[3]، ليركبوا فيها الرّواحلَ ويتزوّدوا الأزوادَ، ويربحوا في التّجارات، ويتفاخروا على النّاس، وقرأ ابنُ كثير وأبو عمرو وهشام: ﴿رَبَّنَا بَعِّدۡ﴾ بتشديد العين وإسكانِ الدّال من التّبعيد على الدّعاء أيضًا بزيادةِ تأكيدٍ؛ أيْ: "أعظِم البُعْدَ وشَدِّده"[4]، وقرأ يعقوبُ: ﴿رَبُّنَا بَٰعَدَ﴾ على وجهِ الخبرِ من اللّه، بأنّ اللّهَ فعلَ بهم ذلك؛ أيْ: (لقد

تـنـوّعُ الـقـراءةِ يُـشـيرُ إلى كـثرةِ عتوّهم وبطرهم وتنوّعِه

(1) الشّربينيّ، السّراج المنير: 3/ 293.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 487، والسّيوطيّ والمحلّيّ، تفسير الجلالين، ص: 566، والشّربينيّ، السّراج المنير: 3/ 293.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 487.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 486.

باعدَ ربُّنا بَيْنَ أَسْفارِنا)[1]، وهذه القراءةُ على الضِّدِ من غرضِ السّابقَين؛ إذ تدلّ على استكثارِ القائلين مسافةَ ما بين كلّ قريتين، بما تدلّ على ازدرائهم تلكَ النّعمةَ الواردة على قانونِ الحِكْمة[2]، واستبعادِهم مسايرهم مع قِصرها أو دنوِّها، وسهولةِ سلوكها؛ لفرطِ تنعُّمهم وغايةِ ترفّههم، وعدمِ اعتدادهمْ بنِعَمِ الله تعالى، كأنَّهم يتشاجَون على اللهِ تعالى ويتحازنون عليه[3]، وتنوّعُ القراءة يشيرُ إلى كثرةِ عُتوّهم وبَطَرهم وتنوّعِه؛ فهذه الأقوال وردتْ على مجموعاتٍ منهم.

سِرُّ التقييد بالظّرف ﴿بَيْنَ﴾:

طلبُ قومِ سبأ المباعدةَ بين جميعِ المراحلِ دليلٌ على حمقهم

عبّر البيانُ الإلهيُّ بالظّرف ﴿بَيْنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾، ولم يَقُلْ: (ربنا باعد أسفارنا)؛ للدّلالة على إبعادِ المراحل بين القرى؛ لأنّ كلّ مرحلةٍ تُعتبرُ سفرًا؛ أيْ: باعِدْ بين مراحلِ أسفارنا؛ لأنّ ﴿بَيْنَ﴾ تقتضي أشياء؛ إذ هي موضوعةٌ للخَلِ بين الشّيئين ووسطهما، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝٣٢﴾ [الكهف: 32][4]، بما يجعلُ المعنى: باعدْ بين السّفرِ والسّفرِ من أسفارنا؛ أيْ: مراحل أسفارنا[5]، وفي هذا دلالةٌ على زيادةِ مجاوزتهم للحدّ في الطّلبِ، وحمقِهم وعُتوِّهم؛ إذ طلبوا المباعدةَ بين جميعِ المراحل؛ بما يؤدّي إلى زيادةِ الكدِّ والتّعب.

دلالة التّعبير بـ﴿أَسْفَارِنَا﴾ مادّةً وصيغةً:

في التّعبير القرآنيّ بلاغةٌ وإيجازٌ مع اتّساعٍ في الدّلالة

عبّر البيانُ الحكيم بلفظ ﴿أَسْفَارِنَا﴾؛ لاتّساع دلالته؛ إذ دلّ في الآية على معنى المنازل والقرى[6]، بالإضافة إلى دلالته على معنى قطعِ

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 291.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 487.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 129، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 177.
(4) الرّاغب، المفردات: (بين).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 177.
(6) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 2/ 123.

مسافةٍ لا تقِلُّ عن يوم[1]، والمعنى: ربَّنا باعِدْ بين منازلنا وقُرانا التي نُسافرُ فيها[2]، وفي هذا إيجازٌ وبلاغةٌ في التَّعبير؛ فلو قال: (ربّنا باعِدْ بين قُرانا أو منازلنا) لَما أعطى المعاني التي يتضمّنها لفظُ (سفر) من الرّحيلِ من مكانٍ إلى مكانٍ، وقطعِ المسافةِ الطّويلة، والتّفريقِ، والانكشافِ عن الأماكن، والبُروزِ للأرض الفضاء[3]؛ أي: اجعلْ بيننا وبين القرى المباركة فلواتٍ ومفاوزَ وصحارى متباعدةَ الأقطار[4].

أيُّ خُـمـقٍ هذا الـذي يدعو فيه المَرءُ على نفسه

ولفظ (أسفار) الذي يشيرُ إلى المسافاتِ الطّويلة التي يسافرها الإنسانُ، هو الأنسبُ مع طلبهم إبعادَ المسافات بين القُرى الظّاهرة، وقد عبّر بصيغة الجمع، فلم يَقُلْ: (باعدْ بين سفرنا)؛ للدّلالة على تعدُّدِ الرّحلات والمَشاقِّ التي لن يتحمَّلَها كلّ النّاس؛ وإنّما سيختصّون بها؛ احتكارًا منهم للتّجارة، وتطاولًا على الفقراءِ بتميُّزهم عنهم بركوبِ الرّواحلِ، واستجادةِ المراكب، والتّزوُّد بالأزوادِ والماء، والتَّعلُّقِ بالسّلاح.

لطيفةُ الإضافة في قولهم ﴿أَسْفَارِنَا﴾:

إضافة الضّمير (نا) إلى لفظ (أسفار) تعكسُ شخصيتَهم المتكبّرة؛ لكونه يُعطي إحساسًا منهم بالمُلْكيّة لهذه الأسفار، دون غيرِهم من الفقراءِ وعمومِ النّاس.

معنى (الواو) ودلالتُها في قوله: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾:

جـمـعـوا بـين كـفـرانِ النّعـمةِ والإشراكِ بالله

الواو في قوله تعالى: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ إمّا عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه جملةُ ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَعِدْ﴾، والمعنى: فأعقبوا ذلك بكفرانِ النّعمةِ وبالإشراك، فإنّ ظلمَ النّفسِ أُطلقَ كثيرًا على الإشراكِ باللّه في القرآن، وما الإشراكُ إلّا أعظمُ كفرانٍ لنعمةِ الخالق، وإمّا أن تكون الواو حاليّةً، والجملةُ بعدَها في موضعِ الحال، والمعنى: قالوا ذلك

(1) الفيّوميّ، المصباح المنير: (سفر).
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 487.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، والزّبيديّ، تاج العروس: (سفر).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 389، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 282.

وقد ظلموا أنفسهم بالشّركِ، فكان قولُهم مقارنًا للإشراك، وعلى الاعتبارين فإنَّ العقابَ إنّما كان مسبّبًا بسببين؛ فاستئصالُهم بسببِ كفرهم، وتمزيقُهم كلّ ممزقٍ بسببِ كفرانهم نعمةِ تقاربِ البلاد[1].

دلالة التّعبير بالظّلم في ﴿وَظَلَمُوٓاْ﴾:

عينُ الظّلمِ عَدُّ النّعمةِ نقمةً والإحسانِ إساءةً

آثرَ البيانُ القرآنيُّ التعبيرَ بالظّلم في قوله تعالى: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ دون غيره من الألفاظ كـ: (البغي، والعُدوان، والعُتوّ، والطّغيان)، رغمَ أنّ المفرداتِ كلَّها فيها معنى مجاوزةِ الحَدّ؛ لكون معناه اللّغويّ أنسبَ للسّياق؛ وهو كُفرانُ النّعمةِ واستعمالُها في غير ما أراده اللّهُ سبحانه، فهو وضعُ الشّيء في غيرِ موضعه المُختصّ به، إمّا بنقصانٍ أو بزيادةٍ، وإمّا بعدولٍ عن وقته ومكانه[2]، ولكونه أنسبَ كذلك لِما عُطِفَ عليه من الدّعاء بالمباعدةِ بين أسفارهم، والظّلمُ هو أوّل ما يَهُمُّ به الإنسانُ بأنْ يظلم نفسَه[3].

وصيغ فعلُ ﴿وَظَلَمُوٓاْ﴾ بصيغة الماضي؛ لإفادةِ تحقّقِ ظلمِهم لأنفسهم بتحقّقِ إشراكهم باللّه وكُفرانِهم للنّعم؛ أيْ: تحقّقِ ظلمِهم لأنفسهم بتعريضها للسَّخطِ والعذاب.

غرضُ إسنادِ فعل الظّلم إلى ضمير جماعتهم:

إسنادُ فعلِ الظّلم إلى ضميرِ جماعتهم في قوله تعالى: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾؛ للدّلالةِ على اجتماعهم على الشّركِ باللّه وكُفرانِ النّعم، بما يدلُّ على شدّةِ فسادهم وإفسادهم.

دلالةُ إيقاع فعلِ ظلمهم على ﴿أَنفُسَهُمۡ﴾:

وبالُ الظّلمِ راجعٌ على النّفسِ بجميعِ أنواعه

أوقعَ البيانُ القرآنيّ فعلَ ظلمهم على أنفسهم في قوله تعالى: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾؛ لأنّ وبالَهما راجعٌ إلى النّفس؛ إذ إنّ الظّلم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 176، 177.
(2) الرّاغب، المفردات: (ظلم).
(3) الرّاغب، المفردات: (ظلم).

بأنواعه الثّلاثة – وهو ظلمٌ بينَه وبين الله، وظلمٌ بينَه وبين النّاس، وظلمٌ بينَه وبين نفسه – في الحقيقةِ هي ظُلْمٌ للنّفس[1]، وتهكّمًا وتوبيخًا لهم؛ لأنّ العقلَ السّويَّ والفطرةَ السّويّةَ تأبى أنْ يظلمَ الإنسانُ نفسَه.

غرض حذفِ مُتعلّق الظّلم:

حُذِفَ متعلّقُ الظّلم في قوله تعالى: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ إيجازًا؛ لكون المتعلّقِ معلومًا من السّياق، والتّقدير: وظلموا أنفسَهم بكفرانِ النّعمةِ وبالإشراكِ باللّه، ولأنّ ظُلمَ النّفس أُطلقَ كثيرًا على الإشراكِ باللّه في القرآن، والإشراكُ هو أعظمُ الظّلم، وكُفرانِ نعمةِ الخالق[2].

الشّركُ هو أعظمُ كفرانِ نِعَمِ الخالق

نُكْتَةُ جمعِ المفعول ﴿أَنفُسَهُمۡ﴾:

يستعملُ البيانُ القرآنيُّ لفظ (نفوس) وهو جمعُ كثرةٍ عند الحديث عن عمومِ الخَلْق المُكلّفين، ويستعملُ لفظَ (أنفس) وهو جمعُ قلّةٍ عند الحديث عن طائفةٍ أو جماعةٍ أو قوم، ولذا استعملَ هنا جمعَ القلّة ﴿أَنفُسَهُمۡ﴾؛ لأنّ الحديثَ عن قومِ سبأ، وهم قِلّةٌ بالنّسبةِ لجميعِ الخَلْقِ، ومن حيثُ الصّوتِ ففي لفظِ ﴿أَنفُسَهُمۡ﴾ إخفاءٌ بخلافِ (نفوس)، والخفاءُ ينسجمُ مع الظّلمِ الذي هو وضعُ الشّيء في غيرِ موضعه؛ أيْ: فيه إخفاءٌ للحقّ.

أنْفُسُ قومِ سبأ قليلٌ بالنّسبةِ لجميعِ نفوسِ الخلقِ

معنى (الفاء) ودلالتُها في جملة ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ سببيّةٌ[3]؛ أيْ: سببُ ظلمهم لأنفسهم – حيثُ كفروا باللّه، وبَطِروا نعمتَه، وتعرّضوا لنُقمته – هو تبديلُ ما هم فيه من النّعمة، بحالٍ هو في الوحشةِ بقَدْرِ ما كانوا فيه من الأُنس[4].

استئصالُ قومِ سبأ مُسبَّبٌ عن كفرهم وبطرِهم النّعمةَ

(1) الرّاغب، المفردات: (ظلم).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 176.
(3) صالح، الإعراب المفصّل: 9/ 331.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 487، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 177.

دلالة التّعبير بـ(الجَعْل) في ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ﴾:

عبّر القرآنُ بلفظ الجَعْلِ في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾؛ للدّلالةِ على تغيّر أحوالهم وتبدّلها، إذ من معاني الجَعْلِ في اللّغة تصييرُ الشّيء من حالةٍ إلى حالة[1]، ففِعْلُ الجَعلِ يَقْتضي تَغييرًا، ولَمّا عُلِّقَ بذَواتِهم انقَلَبَتْ من ذواتٍ مُشاهَدةٍ إلى كَونِها أخبارًا مَسموعةً، والمعنى: أنَّهم هَلَكوا وتَحدَّثَ النّاسُ بهم، أو أُريدَ: فجعَلْناهم أحاديثَ اعتبارٍ ومَوعظةٍ؛ أيْ: فأصَبْناهم بأمْرٍ غَريبٍ مِن شأْنِه أنْ يَتحَدَّثَ به النّاسُ؛ فيكونُ ﴿أَحَادِيثَ﴾ مَوصوفًا بصِفَةٍ مُقدَّرةٍ دلَّ عليها السّياقُ[2]، وقد أتى بصيغةِ الفعلِ الماضي الذي يدلُّ على التّحقّقِ والوقوعِ، للدّلالةِ على تحقّقِ هذا الفعلِ منه سبحانه.

تغييرُ حالِ أهلِ سبأ وهلاكُهم ليصبحوا أحدوثةً للنّاس

غرضُ إسناد (الجَعْل) إلى ضمير العظَمة:

أسندَ النّظمُ الحكيمُ فعلَ الجَعْلِ إلى ضميرِ العظَمةِ في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾؛ للدّلالةِ على عِظَمِ الإهلاكِ الذي أنزله اللّهُ بهم وعجيبِ أمره، وذلك بما له سبحانه من العظَمة[3]؛ أيْ: أصَبْناهم بأمْرٍ عظيمٍ عجيبٍ غَريبٍ، مِن شأْنِه أنْ يَتحَدَّثَ النّاسُ عنه، متعجّبين من أمرِ أهله، ومعتَبرين بعاقبتهم ومآلهم[4].

إهلاكٌ إلهيٌّ عظيمٌ وعجيبٌ من شأنه أنْ يكونَ أحدوثةً على ألسنةِ النّاس

بلاغة التّعبير بالكناية في ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾:

الأحاديثُ في قولِه تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ جمعُ (أحدوثةٍ)، لا جمعَ (حديث) على خلافِ القياس، والأُحدوثة هي: الحديثُ العجيبُ لعِظَمِه أو غرابتِه، وما يتحدّثُ به النّاسُ على سبيلِ التّلهّي والتّعجُّب والاستغراب، والتّعبيرُ بـ﴿أَحَادِيثَ﴾؛ أيْ: جعلهم نفسَ الأحاديثِ؛ إمّا كنايةٌ عن هلاكهم؛ أيْ: قالوا ما قالوا من سوءٍ،

نتيجةُ كفرِ قومِ سبأ وكفرانِهم النِّعمَ، استئصالٌ يتحدّثُ النّاسُ عنه

(1) ابن منظور، لسان العرب: (جعل).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 178.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 487.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 129.

وفعلوا ما فعلوا من منكرٍ، فكانتْ نتيجةُ ذلك أنْ صيرناهم أحاديثَ يتلهّى النّاسُ بأخبارهم، ويضربون بهمُ المثلَ، فيقولون: تفرّقوا أيدي سبأ[1]، أو على سبيلِ المبالغة، أو تقديرِ المضاف؛ أيْ: جعلناهم بحديثٍ يتحدّثُ النّاسُ بهم، متعجّبين من أحوالهم، ومُعتبرينَ بعاقبتهم ومآلهم، أو أنّه لم يبقَ منهم إلّا الحديثَ عنهم، ولو بقيَ منهم طائفةٌ لم يكونوا أحاديث[2]؛ أيْ: أفنيناهم كلّهم، ولم يبقَ إلّا التّحدّثَ العجيب عنهم[3].

نُكْتَةُ جمعِ ﴿أَحَادِيثَ﴾، ولطيفةُ تنكيرِه:

كـثرةُ الأحاديث العـجـيـبـةِ الغريبةِ عن قومٍ سبأ وتنوّعها

عبَّر البيانُ الحكيمُ بصيغة الجمع في لفظ ﴿أَحَادِيثَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾؛ للإشارةِ إلى كثرةِ هذه الأحاديث التي تدورُ على الألسُن والصّفحاتِ، تتناقلُها الأجيالُ عبرَ مسيرةِ التّاريخ الطّويلة، وتنوّعها، وكثرةِ من يتحدّثُ بها، وذلك لِما لهذه الأحاديث منَ الهَول[4]، وتنكيرُ هذه الأحاديث يدلُّ على المبالغةِ في هذه الكثرة، والمبالغةِ في تهويلها.

بلاغة إيجاز القَصْر في ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾:

لا حَـــذْفَ في الـكـلامِ وإنّـمـا غزارةٌ في المعنى

ضمّنَ البيانُ القرآنيُّ في قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ معانيَ كثيرةً من غيرِ أنْ يكونَ هناك حذفٌ؛ فقد جاءتْ هذه الجملةُ في معرضِ الحديثِ عن مملكةِ سبأ، فبعدَ أنْ ذكرَ موجباتِ إهلاكِهم التي تجاوزتِ الحدودَ، كان يمكنُ أنْ يأتيَ العقابُ موافقًا لإجرامهم، ولكنّنا نرى السّياقَ القرآنيَّ اكتفى بأنْ يقول: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ من غيرِ تفصيلٍ في دقائق طريقةِ الإهلاك، ممّا يجعلُنا نتخيَّلُ وخامَةَ هذه الإبادةِ، بحيثُ يتحوَّلُ أهلُها من واقعٍ ملموسٍ إلى أحاديثَ

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 283.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 305.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 178.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 487.

تدورُ على الألسُنِ والصّفحات، تتناقلُها الأجيالُ عبرَ مسيرةِ التّاريخِ الطّويلة، يذكرون أخبارهم للتّندُّرِ والعِبرةِ، فذهبوا مذهبَ الأمثالِ.

معنى (الواو) ودلالتُها في ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه قولُه تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾[1]؛ بجامع كونهما عقابًا من اللّهِ تعالى على بَطرهم وكُفرهم وظُلمهم، وهذه الجملةُ مبيّنةٌ لجعلهم أحاديثَ؛ لأنَّ اللّهَ سبحانه لمّا غرَّق مكانَهم وأذهب جنَّتَيْهم تبدَّدوا وتفرّقوا في البلاد، فصارتِ العربُ تَضرِبُ بهم المثلَ في الفُرقة، فتقول: تفرّقوا أيدي سبأ[2]، وقيل: فُرِّقوا بالهلاكِ حتّى صاروا ترابًا تذروهُ الرّياحُ[3].

الـجـمـعُ بـين تبديدِ شملِ أهلِ سبأ، وتصييرِهم أحاديثَ يرويها الرّواةُ

بلاغةُ التّعبيرِ بالاستعارة في ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ﴾:

التَّمزيقُ في اللّغة: تَقطيعُ الثَّوبِ قِطَعًا، وهو هنا في قوله تعالى: ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ تَشبيهٌ لِتَفريقِ جامعةِ القومِ شَذَرَ مَذَرَ بتَمزيقِ الثَّوبِ قِطَعًا[4]، فحَذفَ المشبهَ به وأبقى شيئًا من لوازمه وهو التّمزيق، وهذه استعارةٌ تصريحيّةٌ تبعيّةٌ في الفعلِ (مزّقناهم).

تشبيهُ تفريقِ اجتماعِ قومِ سبأ شَذَرَ مَذَرَ بتَمزيقِ الثَّوبِ قِطَعًا

دلالة التّعبير بـ (التّمزيق) ولطيفةُ صَوْغِه ماضيًا:

عبّر البيانُ القرآنيُّ بلفظ التَّمزيقِ الخاصِّ بتَفريقِ المُتَّصلِ وخَرْقِه وشقِّه وتشتيته وتقطيعِه إلى قطعٍ[5]، دون لفظ التّفريق الذي يدلّ على جَعْلِ الشّيءِ مفارِقًا لغيره، فهو ضِدُّ التّجمّع[6]؛ لِما في التّعبير بالتّمزيق مِن تَهويلِ الأمْرِ والدّلالةِ على شِدَّةِ التَّأثيرِ والإيلامِ

في حكايةِ تمزيقِ قومِ سبأ تهويلٌ لِما حلَّ بهم من شدّة التّفرّق

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 23/ 264، وصالح، الإعراب المفصّل: 9/ 232.
(2) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 3/ 496، والشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 370.
(3) الماورديّ، النّكت والعيون: 4/ 446.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 178.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، وعمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (مزق).
(6) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والزّبيديّ، تاج العروس: (فرق).

ما لا يَخْفى[1]؛ ذلك لأنّ التّمزيق أشدُّ وأبلغُ من التّفريق، ولأنّ التّعبيرَ بالتّمزيق أنسبُ مع سياقِ الآيات التي يَذْكرُ فيها شدّةَ اتّصالِ القُرى الظّاهرة وقُربها من بعضها، ولِما فيه كذلك من التّناسبِ مع ما مرّ ذِكْره من التّمزيق عند الحديث عن المشركين: ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾ [سبأ: 7]، والآيةُ هنا وإنْ كانتْ عن قصّةِ سبأ وتمزيقِهم إلّا أنّها سيقت لتحذيرِ مشركي قريش، وأمّا صَوغُه بالماضي فلأنّ تمزيقَ قومِ سبأ قد وقعَ وتحقّق؛ فهو حكايةٌ لِما حلّ بهم لمّا بَطِروا النّعمةَ وكفروا باللّه.

غرضُ إسناد (التّمزيق) إلى ضمير العَظَمَة:

تمزيقُ قومِ سبأ تمزيقٌ شديدٌ وعظيمٌ وعبرةٌ لِمَن يعتبر

أَسندَ البيانُ الحكيم لفظَ التّمزيق إلى ضمير العظَمة في قوله: ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾؛ للدّلالةِ على هَوْل وعظَمةِ وشدّةِ هذا التّمزيق، والمعنى: ومزّقناهم تمزيقًا يناسبُ عظَمتَنا، فما كان لهم دأبٌ إلّا المطاوعة، فمُزقوا كلَّ ممزّقٍ؛ أيْ: تمزيقًا كما يمزقُ الثّوب، بحيثُ صاروا مثلًا مضروبًا إلى هذا الزّمان[2]؛ عبرةً لكلّ مَنْ يعتبر، وخاصّةً كفارُ قريش، الذين سيقتِ القصّة لأجلهم.

دلالةُ إيقاعِ فعلِ التّمزيق على ضمير جماعتهم:

تمزيقٌ عظيمٌ طالَ جميعَ مَن كفرَ من أهلِ سبأ

أوقعَ البيانُ الحكيمُ فعلَ التَّمزيقِ على جماعتهم؛ للدّلالة على كونِ هذا التّمزيقِ الشّديد العامّ قد وقعَ على جميعِ أفرادِ قومِ سبأ؛ ممّن كفر باللّه وبالنّعم التي أرسلها لهم، ولم يستثنِ أحدًا منهم، وفي هذا إشارةٌ إلى عظيمِ هذا العذابِ النّازلِ من العظيم سبحانه.

سرّ التّعبير بلفظ العموم ﴿كُلَّ﴾:

تمزيقٌ بلغَ الغايةَ في التّفريقِ وتبديدِ الشّملِ

﴿كُلَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ من ألفاظِ العموم، ولكنّها تدلّ هنا على المبالغة في غايةِ التّمزق وشدّتِه بكلّ أنواعه

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 129.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 487.

وطرقه[1]؛ أيْ: تدلّ على الكثرةِ لا الجميع[2]، فيشملُ تمزيقُهم كثيرًا من أنواعِ وصنوفِ التّمزيق باعتبار المُمزَّق مصدرًا، وأماكنَه باعتبار المُمزَّقِ اسمَ مكان[3]؛ فقد فرّقَهم في كلّ وجهٍ من البلاد كلَّ التّفريق[4]؛ أيْ: مُزّقوا بالتّفرّق والتّباعدِ، ويشملُ كذلك تفريقَهم بالهلاكِ حتّى صاروا ترابًا تذروهُ الرّياح[5]؛ أيْ: بدّد عظامَهم وأوصالَهم فأكلَهُم التُّرابُ[6]، وكذلك يشملُ تمزيقَ قوّتِهم، حتّى صاروا بمضربِ المَثَلِ في التّمزّق والتّفرّق.

بلاغةُ التّعبير باللّفّ والنّشر في الآية:

الاستئصالُ مسبَّبٌ على الكفر، والتّمزيقُ مسبَّبٌ على كفرانِ النّعمة

جاء نظْمُ الكلام في قوله: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ على طَريقةِ اللَّفِّ والنَّشرِ المُشَوَّشِ؛ فإنّ العقابَ إنّما كان مسبّبًا بسببين؛ فالمُسَبَّبُ على الكُفرِ في قوله: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ هو استئصالُهم؛ وهو مَدلولُ قولِه: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾، والمُسبَّبُ على كُفرانِ نِعمةِ تَقارُبِ البلادِ، وهو قولُه: ﴿رَبَّنَا بَعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ هو تَمزيقُهم كلَّ مُمزَّقٍ؛ أيْ: تَفريقُهم[7].

علّةُ فصلِ جملة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾:

تأكيدٌ على إنعامِ النّظرِ فيما فُعِلَ بقومِ سبأ؛ استدلالًا على صفاتِ كمالِ الله

فصلَ البيانُ القرآني قولَه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ عمّا قبله، ولم يأتِ بينهما بعاطف؛ لِما بين الجملتين من كمالِ اتّصال؛ إذ إنّ هذه الجملةَ استنتاجٌ ممّا قبلَها وتأكيدٌ وتقريرٌ له؛ بهدفِ إنعامِ النّظرِ فيه، لِما له من الدّلالة على صفاتِ الكمال[8]، ولذا

(1) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 15/ 491.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 178.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 129.
(4) البغويّ، معالم التّنزيل: 6/ 396.
(5) الماورديّ، النّكت والعيون: 4/ 446.
(6) ابن سلّام، تفسير يحيى بن سلّام: 2/ 755.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 177.
(8) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/ 488.

تُعدُّ تذييلًا للآية[1]؛ أيْ: إنّ فيما ذُكِرَ من أمرِ قومِ سبأ في العمارةِ والخرابِ أمرًا باهرًا دالًّا على أمورٍ كثيرة، منها قدرتُه سبحانه على السّاعة التي هي مقصودُ السّورةِ بالنّقلة من النّعيمِ إلى الجحيم[2].

معنى ﴿فِي﴾ ودلالتُها في المتعلّق ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾:

تمكّنُ الآياتِ وتغلغلُها في قلبِ كلّ صبّارٍ شكور

معنى ﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ ظرفيّةٌ مجازيّة، تشيرُ إلى تمكّنِ هذه الآياتِ الكثيرة، وهي العِبرُ والعِظاتُ الواضحاتُ، والدّلائلُ الشّاهداتُ من قصّة سبأ، وتغلغلِها في قلبِ كلِّ صبّارٍ في جميعِ أحواله؛ وشكورٍ يستقبلُ كلَّ نعمةٍ من نِعمِ اللّهِ بما تستأهلُ من حمَدٍ وشُكران.

مرجع الإشارة في ﴿ذَٰلِكَ﴾، ولطيفة البُعد فيه:

قصّةُ قومِ سبأ أو تمزيقُهم عِظةٌ وعِبرةٌ ودلالةٌ على واجبِ حقّ الله

المُشارُ إليه بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إمّا هوَ كلُّ ما تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾؛ أيْ: قِصَّةُ سَبَأٍ على وجهِ العُموم[3]، أو هو تمزيقُهم كُلَّ مُمَزَّقٍ، والمعنى: إنّ في تمزيقنا لهم كلَّ مُمزّقٍ لعظَةً وعِبرةً ودلالةً على واجبِ حقّ اللّهِ على عبده من الشّكرِ والصّبر[4]، وقد اختارَ ما يُشارُ به إلى البعيدِ ﴿ذَٰلِكَ﴾، مع أنّ المشارَ إليه قريبٌ - وهو قصّةُ سبأ أو تمزيقهم - ؛ تعظيمًا وتفخيمًا لهذه القصّة بما حوته من الآيات، وإظهارًا لعلوِّ شأنها، وتهويلًا لِما أوقعه اللّهُ فيهم من التّمزيقِ الفظيع، والتّقدير: "إنّ في ذلك؛ أي: الأمر العظيم"[5].

غرض تقديم ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ على اسم ﴿إِنَّ﴾:

اهتمامٌ بقصّةِ سبأ وما تضمّنته من عِبرٍ وعظاتٍ ودلائلَ على قدرةِ الله

قدّم البيانُ الإلهيُّ المُسندَ ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ على المُسند إليه ﴿لَآيَاتٍ﴾

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 180.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 488.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 180، وابن عثيمين، تفسير سورة سبأ، ص: 145.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 391، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 512، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 678.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 488.

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؛ لإفادة حصرِ الغايةِ من ذِكْرِ ما أُشيرَ إليه ممّا سبق في العبرة والعظَة، لا للقصّ والتّسليةِ، ولإفادةِ الاهتمام بقصّةِ سبأ، وما تضمّنته من عبرٍ وعظاتٍ ودلائلَ شاهداتٍ على قدرةِ الله تعالى على التّصرّف فيما بين أيديهم وما خلفَهم؛ بالإيجادِ والتّمزيقِ والإعدامِ للذّواتِ والصّفاتِ، وعلى قدرته كذلك على السّاعةِ التي هي مقصودُ السّورةِ بالنّقلةِ من النّعيم إلى الجحيمِ والحشرِ إلى ما لا يريدُ الإنسانُ؛ كما حُشِرَ أهلُ سبأ إلى كثيرٍ من أقطارِ البلاد، كما هو مشهورٌ في قصّتهم[1].

معنى (اللّام) في قوله: ﴿لَآيَاتٍ﴾:

توكيدٌ لعظيمِ دلائلِ قدرةِ اللهِ تعالى وعظاتِ قصصهِ وعِبرهِ

لامُ ﴿لَآيَاتٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ لامُ الابتداء، وقد دخلتْ على اسم إنَّ ﴿لَآيَاتٍ﴾ لحيلولةِ الخبرِ المقدّر بينَه وبينها؛ إذ لو كان يليها ما جازَ دخولُها، وهي تفيدُ التّوكيد؛ أيْ: توكيدَ عظَمِ دلائل قُدرةِ الله.

دلالةُ التّعبير بلفظ ﴿لَآيَاتٍ﴾ ونُكْتَة جمعِها:

اتّساعُ دلالةِ الآياتِ يناسبُ تعدّدَ أغراضِ قصّةِ سبأ

آثرَ البيانُ الحكيمُ في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ التّعبيرَ بلفظ الآياتِ دون ألفاظٍ أخرى، كدلائل وعلامات وعظات؛ لاتّساع دلالةِ لفظ الآيات؛ إذ تشملُ المعاني المذكورة، التي لو عبّر بأحدها لاقتصرَ المعنى عليه، والتّقدير: إنّ في تمزيقنا لهم كلَّ مُمزّقٍ أو في المذكور من قصّتهم، وما فعل اللّهُ بهم لَآياتٍ عظيمةً، وعلاماتٍ كثيرةً، وعِبرًا بليغةً، وحُججًا قاطعةً على الوحدانيّةِ والقُدرةِ، ودلالاتٍ واضحة[2] على واجبِ حقّ الله على عبده؛ من الشّكرِ على نعمه إذا أنعمَ عليه، وحقّه من الصّبرِ على محنته إذا امتحنهُ ببلاءٍ[3]، وقد عبَّر السّياقُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 488.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 23/ 244.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 391.

الحكيم بصيغة الجمع في لفظ ﴿لَآيَٰتٍ﴾؛ للدّلالة على أنّهم صاروا فِرقًا كثيرةً، كلٌّ منهم آيةٌ مستقلّة[1]، ولأنَّ في تلكَ القصَّةِ عِدَّةَ آياتٍ وعِبَرٍ؛ فحالةُ مساكنِهم آيَةٌ على قدرةِ اللّه ورحمتِه وإنعامه، وعلى أنّه الواحدُ بالتَّصرُّف، وإرسالُ سيلِ العَرِم عليهم آيَةٌ على انفرادِهِ تعالى بالتّصرف، وعلى أنّه المنتقِمُ، وعلى أنّه واحدٌ، وفي انعكاسِ حالهم من الرّفاهيّة إلى الشّظفِ آيَةٌ على تقلّبِ الأحوالِ وتغيّرِ العالَم، وآيَةٌ على صفاتِ الأفعالِ للّه تعالى من خَلْقٍ ورِزقٍ وإحياءٍ وإماتةٍ، وفي ذلك آيَةٌ من عدمِ الاطمئنانِ لدوامِ حالهم في الخيرِ والشّرّ، وفيما كان من عمرانِ إقليمهم واتّساعِ قُراهم إلى بلادِ الشّام آيَةٌ على مبلغِ العُمرانِ وعِظَمِ السّلطان من آياتِ التّصرّفات[2].

غرض تنكير ﴿لَآيَٰتٍ﴾:

جاءتْ كلمةُ ﴿لَآيَٰتٍ﴾ بالتّنكير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ﴾؛ تعظيمًا لها وتفخيمًا لشأنها كمًّا وكيفًا، فمن أغراضِ تنكيرِ المُسنَد إليه تعظيمُه[3]، وتنبيهًا كذلك على كثرةِ هذه الآياتِ من العِبرِ والعِظاتِ الواضحات، والدّلائل الشّاهدات لكلّ مَن روّضَ نفسَه على الصّبر، وغالبَ الشّهوات، وقدّرَ نِعَمِ اللّه، وقابلها بالمزيدِ من الشّكرِ والطّاعات.

آيـــاتُ الـلـهِ عظيمةٌ فخيمةٌ كمًّا وكيفًا

بلاغة توالي المؤكّدات في الآية:

أكّد البيانُ القرآنيُّ جملةَ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ بعدّة مؤكّداتٍ؛ ترسيخًا للخبرِ واهتمامًا به[4]، وهي: الافتتاحُ بأداة التّوكيد ﴿إِنَّ﴾، والجملةُ الاسميّة الَّتي تَدلُّ على الثَّباتِ، ولامُ الابتداء ﴿لَآيَٰتٍ﴾، وتقديمُ المُسند ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ على المسندِ إليه ﴿لَآيَٰتٍ﴾ ممّا يفيدُ الحصرَ، وكذلك صيغتا المبالغة في ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

تأكيدٌ على أنّ المنتفِعَ مِنَ الآياتِ هو كلُّ صبّارٍ شكورٍ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 23/ 244.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 180، 181.
(3) عوني، المنهاج الواضح للبلاغة: 2/ 42.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 180.

معنى (اللّام) ودلالتُها في قوله: ﴿لِّكُلِّ﴾:

(اللّام) في قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ لامُ الاختصاص؛ أيْ: هذه الآيات بما تحمله من دلائلَ على قدرةِ اللّه، ومن عظاتٍ وعِبر يختصُّ بالانتفاعِ بها كلُّ مؤمنٍ اتّصف بالصّبر والشّكر.

آيـاتُ اللـهِ في قـصّـة سبـأ يختصُّ بالانتفاعِ بـها كـلُّ صبّارٍ شكورٍ

دلالة التّعبير بلفظ العموم (كلّ):

(كلّ) في قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ من ألفاظِ العموم، ويدلُّ في الآيةِ على عمومِ المتّصفين بكثرةِ الصّبرِ والشّكرِ، المنتفعينَ بدلائلِ قدرةِ اللّه وعظاته وعِبره؛ أيْ: إنّ الانتفاعَ بآياتِ اللّهِ يشملُ كلّ صبّارٍ شكورٍ، ولكن إضافتها إلى لفظ ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ - وهما نكرة - أفادَ مع العموم الاستقصاءَ الشّاملَ لكلِّ ما يصْلُحُ أنْ يُطلقَ عليه لفظا (صبّار وشكور)، ويتصوّره الذّهنُ، فيشملُ الصّبّارَ على البلاء، والصّبّارَ على الطّاعات، والصّبّارَ عن المعاصي[1]، والصّبّارَ على العاقبة[2]، ويشملُ الشّكورَ على النّعم الإلَهيّة في كلّ الأوقاتِ والحالاتِ، والشّكورَ في طاعة اللّه[3].

الانتفاعُ بآياتِ اللهِ يشملُ كلّ صبّارٍ شكورٍ

دلالةُ تَخصيصِ الصّبّارِ الشّكورِ بالذِّكر دون غيرهما:

تَخصيصُ الصَّبّارِ الشّكورِ بالذِّكر؛ لأنَّهم المُنتفِعون بآياته وعِبرِه ومواعظه[4]، فآياتُ الرَّبِّ إنَّما يَنتفِعُ بها أهلُ الصَّبرِ والشُّكرِ[5]؛ أيْ: في تخصيصِ هذَيْن الوصفيْن بالذِّكرِ إشارةٌ إلى أنّ آياتِ اللّهِ لا يراها ولا ينتفع بها إلّا أهلُ الإيمان الواثقون باللّه، الذين إذا

لا ينتفعُ بآياتِ اللـهِ إلّا أهـلُ الصّبرِ والشّكرِ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 578، والبغويّ، معالم التّنزيل: 3/ 678، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 23/ 244.

(2) القشيريّ، لطائف الإشارات: 3/ 181.

(3) الماورديّ، النّكت والعيون: 4/ 446.

(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 130، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 283، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 23/ 245.

(5) ابن القيم، عدّة الصّابرين، ص: 75.

أصابهم الضّرّ صبروا، وإنْ أصابهم الخير شكروا[1]؛ لأنَّ الإيمانَ نصفٌ صبرٌ ونصفٌ وشكر[2].

لطيفة تنكير ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾:

جاء تنكيرُ اللّفظين ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ للتّعظيم والتّفخيم[3]، ففيهما كمالُ الإيمانِ وتمامُ العِرفان، وللمبالغةِ في تأكيدِ عمومِ المتّصفين بكثرةِ الصّبرِ والشّكر، وخاصّة أنّهما أُضيفا إلى لفظ (كلّ) وهو من ألفاظِ العموم؛ أيْ: إنّ الانتفاعَ بآياتِ اللّه يشملُ كلَّ مَنِ اتّصف بكثرةِ الصّبرِ وكثرةِ الشّكرِ.

لا ينتفع بآيات الله إلّا مَن كان صبّارًا شكورًا

نُكْتَةُ الجمع بين صفتي ﴿صَبَّارٍ﴾ و﴿شَكُورٍ﴾:

في الجمعِ بين ﴿صَبَّارٍ﴾ و﴿شَكُورٍ﴾ في الوَصْفِ دلالةٌ على أَنَّ من جمعَ الصّبرِ والشّكرِ فقد أحرزَ كمالَ الإيمان وتمامَ العِرفان[4]، وهو المؤمنُ الذي لا تنقصُهُ خُلّةٌ جميلة بوجه[5]، وفيه دلالةٌ كذلك على أنّ واجِبَ المؤمنِ التَّخَلُّقُ بِالخُلُقَيْنِ؛ وهما: الصَّبْرُ على المَكارِهِ، والشُّكْرُ على النِّعَمِ؛ لأنّ هؤلاء المتحدَّثَ عنهم لم يشكروا النّعمةَ فبَطِروها، ولم يصبروا على ما أصابهم من زوالها؛ فاضطربتْ نفوسُهم، وعمّهمُ الجَزَعُ؛ فخرجوا من ديارهم، وتفرّقوا في الأرض، ولا تسألْ عمّا لاقوهُ في ذلك من المتالِفِ والمَذلّات[6].

مَنْ جمَعَ الصّبرَ والشّكرَ؛ أحرزَ كمالَ الإيمانِ وتمامَ العِرفان

غرضُ تقديمِ صفةِ الصّبرِ على الشُّكرِ:

قدّم البيانُ الإلهيُّ صفةَ الصّبرِ على الشُّكرِ في قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؛ لأنّ الصّبرَ أتعبُ على النّفس؛ فيكون أفضلَ؛ إذِ الصّبرُ هو صبرٌ على الطّاعةِ، وصبرٌ عن المعصيةِ، بينما الشُّكرُ

الصّبرُ أتعبُ على النّفسِ من الشُّكرِ

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 11/ 591.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 23/ 244.
(3) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 15/ 491.
(4) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 15/ 491.
(5) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 416.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 180.

شكرٌ على الطّاعةِ، وفي ذلك أيضًا مراعاةٌ للفاصلةِ القرآنيّةِ في قوله تعالى: ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾[1]؛ لِما لها من وقعٍ حَسَنٍ على السّمع.

دلالة التّعبير بـ ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ مادة وصيغة:

في قوله تعالى: ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ صفتا الصّبر والشّكر صيغتا مبالغة على وزنِ (فعّال) و(فعول)؛ أي: الذين لا يُفارقهمُ الوصفان[2]، وهما كثيرُ الصّبرِ في جميعِ الأحوال، وكثيرُ الشّكر باستقباله كلَّ نعمةٍ من نعمِ اللّه بما تستأهلُ من حمدٍ وشُكران، وهما مَن يتحصّل لهما الانتفاعُ بالآيات؛ فكأنّها لهم دون غيرهم[3]، كما أنّ المبالغةَ في الوصفين تأكيدٌ على الصّبرِ والشّكرِ، وتحذيرٌ لقريش على عدمِ التّخلّق بهما؛ لأنّ الإنسان لِما طُبِعَ عليه منَ القلق، كثيرًا ما يرى النّعمَ نقمًا، واللّذةَ ألمًا، ولِما كانَ عطفُ النّفوسِ إلى الشّكرِ بعد جماحها بطغيانِ النّعم صعبًا[4].

المبالغةُ في الوَصفَين تأكيدٌ عليهما وتحذيرٌ من عدمِ التّخلّقِ بهما

بلاغة تذييل الآية الكريمة:

جُملةُ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ تَذييلٌ غرضُه تَنْهيةٌ للقِصَّةِ بما يلائمها، وذلك بالدّلالةِ على أنّ مَن لم يكنْ في طبعه الصّبرُ والشّكرُ؛ يقعُ فيما وقعَ فيه قومُ سبأ من كُفرانِ النّعم، وأنّه مَن ليس في طبعِهِ الصّبرُ فاتَهُ الشُّكرُ[5]، وغرضُه كذلك الدّلالةُ على أفضليَةِ مَن يتّعظ بما حلّ في قوم سبأ من التّمزيق أو من النّقمةِ والعذابِ، بعد النّعمةِ والعافية؛ أيْ: إنّ في ذلك لآياتٍ لكلِّ مَن هو من أفاضلِ المؤمنين؛ لأنّ جميعَ خصالِ الإسلام ترجعُ إلى الصّبرِ والشّكر[6].

مَنْ لمْ يكنْ في طبعه الصّبرُ والشّكرُ يقعُ فيما وقعَ فيه قومُ سبأ من كفرانِ النّعم

(1) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 15/ 491.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 190.
(3) النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 12/ 89.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 488.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 488.
(6) أبو حفص النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 12/ 89.

لا يكتمل الإيمانُ بدون الصّبر والشّكر

وفي هذا التّذييل تنبيهٌ على أنَّ ما بعْدَ هذه الجُملةِ مُتعلِّقٌ بالغرَضِ الأوَّلِ المُتعلِّقِ بأقوالِ المشركينَ، والمُنتقَلِ منه إلى العِبرةِ بداودَ وسُليمانَ، والمُمثَّلِ لحالِ المُشركينَ فيه بحالِ أهْلِ سَبأٍ[1]، وهو الاعتبارُ بالتزامِ خُلُقَي الصّبرِ والشّكر؛ فإنّ قصّةَ داوود وسليمان كانتْ مثالًا على الصّبرِ والشّكرِ، بينما قصّةُ قومِ سبأ كانتْ مثالًا لعدمِ الصّبرِ والشّكر.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التّمزيق والتّفريق:

التّمزيقُ أشدُّ وأبلغُ من التّفريق؛ فالتّمزيقُ هو الشّقُّ والتَّخْريقُ والتّشتيت والتَّقْطيعُ إلى قطعٍ[2]، والتّمزيقُ هو تفريقُ المتّصلُ؛ أي: التّفرّقُ بعد الاجتماع[3]، إذِ المعنى المحوريُّ للتّمزيق هو الشّقُّ الواصلُ إلى العمق[4]، بينما التّفريقُ ضدّ التّجمع، فالتّفريق: التّمييزُ والتّزييلُ والانفصال، وجَعْلُ الشّيء مفارقًا لغيره، حتّى كأنّه جَعلَ بينهما فرقًا، حتّى تباينًا مادّيًّا كان أو معنويًّا[5]، فكان استعمالُ لفظِ التّمزيق هنا أنسبَ؛ كونه مع سياقِ عذابهم بنقيضِ ما كانوا عليه من النِّعم العظيمة؛ من اتّصال القرى وقُربها من بعضها ومباركتها، فمَزّقهم وقطّعهم أشدَّ تقطيعٍ، كأنّما شقَّ اجتماعَهم وما كانوا عليه.

التّمزيقُ أشدُّ وأبلغُ من التّفريق؛ فهو تشتيتٌ وتقطيعٌ وتفريقٌ بعد اجتماع

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 180 - 181.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، وعمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (مزق).
(3) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (مزق)، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 129.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (مزق).
(5) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والزّبيديّ، تاج العروس: (فرق).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والأربعون،
سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 46 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-99-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 46 : المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-99-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0986397 بتاريخ 2025/01/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»